د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدى

٢ — ترجمة حياته

كان الأبوان على طرفى نقيض . ولقد كان لذلك كل الأثر على حياة لورنس الأولى وبعضه على الجزء الثانى منها ، فضلاً عن أن هذا الاختلاف هو الذى طبع أولى كتبه بطابع خاص

فبينما كان الأب لا يكاد يجيد القراءة والكتابة إذا بالأم وقد نالت حظاً وافراً من التعليم . وبينا كان الأب يعمل كعامل بسيط فى أحد المناجم إذا بالأم تنحدر من سلالة أسرة عريقة فى المجد والنبل . ولكن كان الأب وسيم الشكل تبدو عليه كل أمارات الرجولة . يفخر دائماً أن الموسى لم تمس لحيته فى يوم من الأيام . وكان هذا مما جذب الأم وأوقعها فى حب الأب برغم ما بين طبقتيهما من فوارق. وكان كل منهما يرى فى هذه الزيجة ما لا يراه الآخر ، فكانت للأب وسيلة حصل بها على زوجة شابة فتانة . أما الأم فكانت ترى فيها سبباً فى زجها فى بيئة لم تتعودها أو تألفها طول حياتها. وكانت نظرتاهما إلى مستقبل أولادهما أبعد ما تكون عن الاتفاق، فاقترح الأب أن يذهب الأولاد إلى العمل فى المناجم بينما تخدم البنات فى البيوت، وهذا ما حاربته الأم بكل قواها ، لأنها كانت تربأ أن يعيش الأولاد عيشة أبيهم أو أن تحيا البنات حياة أمهن البائسة

ظل هذا النضال قائماً بين الأب والأم حتى أتت الأطفال فأولتهم الأم كل عنايتها وصاروا سلوتها الوحيدة فعاشت لهم ومن أجلهم . أما الأب فقد شعر أن عاطفة زوجته كانت منصبة على الأطفال دونه ، فصار لا يرتاح إلى البقاء طويلاً فى المنزل ، وأصبح يفضل عليه المقاهى والحانات حيث يجتمع بمن هم على شاكلته وبمن يفهمهم ويفهمونه حتى أتى الوقت الذى صارت له فيه الحانة منزلاً ثانياً . كانت زوجته تعد له طعامه وتنتظر الساعات الطوال حتى يحضر قبيل طلوع الفجر وهو ثمل لا يكاد يعى كلمة مما يقول ، حتى إذا عاتبته أو أنبته بكلمة أو عبارة انقلب وحشاً ضارياً وعاملها بمنتهى القسوة حتى إنه لم يتورع مرة أن قذفها بأحد الأدراج فشج رأسها

كان « أرنست » أول أطفالها وقد صوره لورنس صورة ناطقة فى روايته « الأبناء والمحبون » تحت اسم ويليام . كان متفوقاً على كل إخوانه فى المدرسة وكان لا يضيع دقيقة من وقته ، فكان يدرس اللغات فى بعض المدارس الليلية فى أوقات فراغه ، وبهذه الطريقة حصل على وظيفة رفيعة فى إحدى شركات الملاحة بلندن . وكان المستقبل يبدو أمامه زاهراً ، حتى عاجلته المنية وهو لا يزال فى العقد الثانى من عمره، فكان موته ضربة قاضية على قلب الأم، حتى كانت ما تفتأ تكرر مقدار شوقها إلى ذلك اليوم الذى تموت فيه حتى تقابل أرنست

بعد أرنست أتت إميلى ثم أداء وأخيراً دافيد هربرت لورنس فى ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٥ . وكان فى طفولته لا يميل إلى الألعاب التى كان يغرم بها من هم فى سنه لأنها كانت من ابتكار غيره ، وكان يفضل عليها الألعاب التى يبتكرها هو ، لأنه ما كان يكره شيئاً قدر كراهيته للتقليد . ولما بلغ السادسة عشرة تعرف إلى عائلة تشمبرز حيث قابل حبيبته الأولى التى وصفها فى كتابه « الأبناء والمحبون » تحت اسم ميريام . جذبته الفتاة بعينيها المسليتين الواسعتين ، وشعرها الأسود المموج ، وميلها إلى الرزانة والجد على خلاف بنات حيها ، فضلاً عن أنها كانت توليه أذناً صاغية عند ما يتكلم معها عن آرائه الغريبة . لذلك كانت زياراته لبيت حبيبته تزداد يوماً بعد يوم لدرجة أقلقت بال الأم وأقضت مضجعها حتى إنها لم تمالك نفسها ذات يوم أن قالت له فى تهكم وغيظ : إن الأولى به أن يجمع ملابسه ليقيم مع حبيبته دواماً .

وعلى رغم أن لورنس لم يعترف لحبيبته بحبه لها فى صراحة إلا أنه كثيراً ما كان يردد نظريته التى تقول: إن كل عظيم خلقته امرأة؛ وأنه كان يرى فيها المرأة التى سوف تخلق عظمته . ولكن كان لورنس حساس القلب إلى أقصى درجات الحساسية لم يفته ما عانته الأم المسكينة من زوجها القاسى فتعلق قلبه بأمه وفاض بحبها ، وعلى العكس من ذلك كان شعوره تجاه أبيه . وقد بادلته أمه حباً بحب حتى تعوض ما فاتها من حب زوجها . ولقد كان هذا الحب

هوعلة لورنس الأولى ودواؤه الذى ذاق من أجله الأمرين ، ولكنه فى الوقت نفسه كان سبباً فى توجيه تفكيره إلى درس موضوع لم يسبقه إليه أحد. كان لورنس يشعر فى قلبه بحبين يتنازع أحدهما الآخر ويعمل على استئصاله ، وكان كل منهما من القوة بحيث بات لورنس ضحيتهما ردحاً من الزمن . فهو يحب أمه ، وفى الوقت نفسه يحب ميريام . ولما كان حبه لأمه هو أول حب طرق قلبه فقد كانت حاجته شديدة إلى امرأة تحبه حباً قوياً جارفاً يخلصه من الأغلال التى كان يرسف فيها ، ولكن للأسف كان حب ميريام من ذلك النوع الروحى مما كان سبباً فى تغلب الأم فى النهاية.

وكانت ميريام قد أرسلت خمساً من قصائده إلى أحد الناشرين فنشرها له، وشجعه هذا على أن يرسل إليه أولى رواياته «الطاووس الأبيض» وقد ظهرت الرواية فى يناير سنة ١٩١١ أى بعد وفاة أمه بشهر واحد .

وبموت أمه وفشل حبه ينتهى الجزء الأول من حياة لورنس

وفى أحد أيام ابريل من عام ١٩١٢ قصد لورنس إلى منزل الأستاذ أرنست ويكلى كى يتوسط له لدى إحدى الجامعات الألمانية بغية الحصول على إحدى وظائف التدريس بها . وفى هذه المقابلة الأولى وقع لورنس فى حب زوجة الأستاذ الألمانية. ولدهشته شعر أنها قد بادلته حباً بحب فكتب إليها يبثها غرامه ويطلب منها أن تطلع زوجها على ما بينهما فلم تتردد أن تفعل ذلك برغم شدة تعلق زوجها بها وبرغم أنها قد أنجبت منه ثلاثة أطفال

سافرت فريدا بعد ذلك مع لورنس إلى متز حيث قابل لورنس والدها البارون فون رتشتوفن حاكم الألزاس واللورين بعد الحرب البروسية ، وكانت مقابلة جافة بين الأب الأرستقراطى وبين لورنس الذى ينحدر من طبقة الدهماء . بعد ذلك سافر لورنس وحده إلى أرض الرين. ثم قابلته هى فى ميونيخ، وهناك تحت سفح جبال الألب وعلى ضفاف نهر الإيزر بدآ حياتهما معاً . ومن هناك ذهبا إلى بحيرة جاردا حيث نقح روايته « الأبناء والمحبون » ثم أرسلها إلى أحد الناشرين فردها هذا إليه ثانية بحجة أنها أقذر كتاب وقعت عين الناشر عليه . ومن غريب الأمر أن الرواية نفسها نالت تقريظ الكتّاب بعد نشرها وأجمعوا على أنها من أروع ما كتب فى الأدب الإنجليزى . وفى هذا المكان كتب « الشفق فى إيطاليا » وكذلك مجموعة من أشهر قصائده

وعادا إلى لندن دون أن يمكثا بها طويلاً . فذهبا إلى بافاريا حيث كتب لورنس قصة « الضابط البروسى » التى تنبأ فيها بالحرب العظمى مع أنه كتبها عام ١٩١٣

وفى الشتاء التالى ذهبا إلى إيطاليا حيث كتب روايته « قوس قزح » وأرسلها إلى جارنت — أحد الناشرين — فلم تصادف هوى فى نفسه . فكان يأس لورنس لا يوصف ، لأنه كان يعتقد أنه إنما يحاول أن يعلم الناس كيف يعيشون فكان ينتظر منهم الحمد والثناء فلم يجد سوى الجحود والنكران

وفى ربيع عام ١٩١٤ ذهبا إلى لندن حيث عقدا زواجهما وتعرفا هناك إلى الشاعر الشاب روبرت بروك الذى راح ضحية الحرب . وكان لورنس من أعدى أعداء الحرب لا يني عن مهاجمة مبدئها وإظهار سخطه عليها . وفى ذلك الوقت ظهرت روايته « قوس قزح » فقال الناس عن كاتبها إنه مجنون يشكو من عقدة جنسية ، وأصرت الحكومة بمصادرة الكتاب وإحراق كل النسخ التى ظهرت منه ، وحتى أصدقاؤه الذين كان ينتظر منهم أن يؤازروه فى محنته ويقفوا إلى جواره انفضوا من حوله وانهالوا عليه نقداً وتجريحاً . عند ذلك أقسم لورنس أنه لن يكتب رواية أخرى بعد ذلك ، وقد بر بقسمه خمس سنوات ، وكان يعتقد أنه رجل سابق لعصره ، يراه الناس بعيداً عنهم فيبدو فى نظرهم صغير الجسم ضئيل الحجم ، ولو أنهم أوسعوا خطاهم واقتربوا منه لرأوا فيه رجلاً أعظم منهم وأكبر حجماً

وذهب بعد ذلك إلى مقاطعة كورتوول يقضى بها سنى الحرب، ولكن كانت زوجته الألمانية سبباً فى خلق كثير من الصعاب فى طريقهما فظن مواطنوه أنه يتجسس للألمان فكانوا يقتحمون منزله كل يوم ويقلبون أثاثه ويبعثرون أوراقه حتى يتأكدوا من حسن نياته. وحدث مرة أن كان عائداً مع زوجته وهو يحمل حقيبة على ظهره ، فلم يكد يراه حرس السواحل حتى اقتضوا عليه بحجة أنه يحمل آلة تصوير فى الحقيبة ، وتسابقوا إلى فتحها ولخيبتهم لم يجدوا بها سوى رغيف من الخبز. وكان لورنس يصبر على كل هذه المكاره على مضض حتى زاره ضابط فى منزله ذات يوم وقرأ عليه أمراً حكومياً يقضى بأن يغادر مقاطعة كورتوول

في بحر ثلاثة أيام على الأكثر . استشاط لورنس غضباً عند سماع هذا الاتهام الصريح في أعز شيء لديه ، فهو الذي كان يفني نفسه حتى يرفع من شأن مواطنيه ويدلهم على طريق الحياة الصحيح ويلدهم مالا يعلمون ، ثم يتهم في وطنيته وانجليزيته ، كانت هذه أقسى ما ناله من الطعنات

وصل لورنس إلى لندن إبان شن الغارات الألمانية الجوية عليها فكان جميع أهل لندن يلجأون إلى الأقبية والمخابئ فراراً من هذه الغارات ، ماعدا لورنس الذي كان يرفض أن يترك فراشه أثناءها

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ذهب وزوجته إلى فلورنسه ومنها إلى جزيرة كابري حيث كتب مجموعة قصائده المسماة « الطيور والحيوان والزهور » وكتب كذلك روايته « الفتاة المفقودة » وأخيراً كتب الكتاب الذي لم يغير فيه حرفاً واحداً وهو « البحر وسردينيا »

ثم ذهبا بعد ذلك إلى استراليا واستقلا القطار من سدني على أنَّ ينزلا في أية مدينة يروقهما منظرها من نافذة القطار . فنزلا في ثيرول حيث كتب روايته الشهيرة « القنغر » التي ضمنها كل آرائه في استراليا وما لاقاه في كورنوول من اضطهاد أثناء الحرب العظمى .

وهناك وصلته دعوة من مابل رودج للذهاب إلى تيوس في المكسيك كي يتعرف إلى الهنود الحمر الذين كثيراً ما كان يظهر إعجابه بهم . فلم يتردد في قبول الدعوة ، وكان هناك بعد وقت قصير . ثم انتقل من تيوس إلى مدينة المكسيك على أثر خلاف قام بينه وبين مابل رودج . وعلى بحيرة تشبالا كتب روايته الفلسفية « الثعبان ذو الريش » وفي الخريف التالي كتب « الصباح في المكسيك »

ثم اشتدت عليه وطأة المرض فجأة ، ولما عاده الطبيب قرر أنه مريض بذات الرئة وفي الدرجة الثالثة . ولكن لم يمنعه هذا أن يكتب وهو مريض مسرحيته المسماة « داوود » وقصته الطويلة « المرأة التي رحلت »

وفي الصيف التالي عاد إلى أوربا واستأجر فيللا بالقرب من جنوا ، وكان وهو في فلورنسا قد كتب رواية أسماها « عشيق لادي تشاترلي » ولكنه تركها مهملة في أحد أدراج مكتبه خشية أن تثير عليه ضجة من جديد ، لأنه كان فيها صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة . ثم قر رأيه أخيراً أن يخرجها إلى عالم الوجود . فأرسلها إلى أحد الناشرين فردها إليه مظهراً استهجانه لما جاء بها ثم أرسلها لورنس إلى آخر فرفضها هذا بشدة . وأخيراً لم ير لورنس بداً من أن يأخذها إلى مطبعة إيطالية لا يعرف صاحبها من الانجليزية حرفاً واحداً . فوافق هذا على طبعها دون أن يدرى مما يطبع كلمة واحدة . وظهر الكتاب عام ١٩٢٨ ولكنه صودر لتوه . وفي العام التالي صودرت أيضاً مجموعة قصائد له . وزاد الطين بلة أن بلغه خبر مداهمة البوليس لمرض صوره في لندن ، وتحطيم جل صوره . فزادت وطأة المرض عليه ونقل إلى مصحة في ڤنس vence حيث التف حوله كل أصدقائه يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذه ، ومن بين هؤلاء الأصدقاء عائلة بروستر وهكسلي وإيدا رانه و هـ . ج . ويلز وأغا خان وزوجته . ثم نقلوه بعد ذلك إلى ڤيللا على مقربة من المصحة ، ولكن كان قد سبق السيف العذل ، فما كاد يصل إلى هذه الڤيلا حتى ساءت حاله وفاضت روحه إلى بارئها في اليوم الثاني من شهر مارس سنة ١٩٣٠

« يتبع »

عبد الحميد حمدى
مدرس بشبرا الثانوية
خريج جامعة اكستر بانجلترا

اطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتاب
الإسلام الصحيح
من مكتبة الوفد ، شارع الفلكي (باب اللوق)
ومن المكتبات العربية الشهيرة

معهد التناسليات
معهد التناسليات تأسيس الدكتور ماجنوس هيرشفلد فرع القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ شارع المدابغ تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات والأمراض والشذوذ التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب والشيخوخة المبكرة . ويعالج بصفة خاصة : زيادة الحساسية طبقاً لأحدث الطرق العلمية والعيادة من ١٠-١ ومن ٤-٦ . ملاحظة : يمكن إعطاء نصائح بالمراسلة للمقيمين بعيداً عن القاهرة بعد أن يجيبوا على مجموعة الأسئلة البيكولوجية المحتوية على ١٤١ سؤالاً والتي يمكن الحصول عليها نظير ٥ قروش